من تحت نقطة الصفر

لكِ عليَّ أن تظلي دائماً

في السعادة التي أنتِ فيها

السعادة التي تغمرني ،

بأريج الجنات الذاهبة

وتكتنفني بروائح عدن

*** ***

لكِ عليَّ أن تظلي دائماً

العروسَ المجلوَّة كل صباح

وأن أظلَّ حفيظاً على عُرسك البهيج

وابتسامتك العميقة

*** ***

لكِ عليَّ أن آخذ دميتكِ الجميلة

بين يدي

وأن أداعب شعرها الخفيف

وأنا أنظر إليكِ بلا شبع

يا جميلة

*** ***

لكِ عليَّ أن أطالع وجهكِ في مرآتي

وأنا أشدُّ رابطة العنق

قبل الخروج الصباحيَّ كل يوم
لأمسك بالحياة من جذورها ،
ويتحقق الفأل الحسن

*** ***

لكِ عليَّ أن أستأنف الحلم القديم
الذي يستدرجني إلى فردوس المحاذير
ويلوِّن وجهي
بظلال الأشجار المشمسة
وأنا أتابع حذاءكِ المشمشيِّ ،
في أيام الآحاد والخميس
كاشفاً عن كعبك الملوّنِ بالحناء
وحقيبة بلون أرجوانك الغامض

تضعين فيها قلبي

وأنت تتنقلين من أول صفحة ،

إلى آخر سطر في التاريخ

*** ***

لكِ عليَّ أن أتحرّى

الشهر قبل الأخير من السنة

وأن أتجهز بمراسيم الميلاد

وبطاقات الأبنوس

*** ***

لكِ عليَّ أن أعاود الغصن الميَّاس

الذي ظلل رأسينا في اللقطات التذاكرية

وأن أخصَّهُ بالبر والزيارة

إحياءً لمجد عينيكِ الغائبتين

*** ***

لكِ عليَّ أن أستعد للبكاء من الآن

قبل أن يجيء ذلك اليوم

الذي تغيبين فيه

فترتفع رايات الحداد على أسطح البيوت

وتصبح المدينة متفحمةً

كبقايا قرية حرقها الإعصار

*** ***

لكِ عليَّ كل ذلك !

ولي عليكِ ،

أن تفكري بي في كل وقتٍ ،

يا حبيبة

فأنا رجل نرجسيّ

لا أقبل الزهور الرخيصة

ولا الابتسامات العابرة

لا أرضى بغير البطاقات الطازجة

وأبحث عن العمق في كل شيء

*** ***

لي عليكِ أن تفكري بي

وأنت تتنقلين في مطبخ الظهيرة

فوَّاحة برائحة الشِّواء

وأنتِ في غمار الفرح العائلي

*** ***

لي عليكِ أن تفكري بي

وأنتِ تنشرين غسيلكِ المنزلي

على حبال الدانتيل واللازورد

تلك التي أرتاض قبالتها

أيام الجمع والعطلات

وأنتِ تطعمين عصافيرك الملونة

في قفصها النائم

كسجن الباستيل

على حافة الهواء والمطر

*** ***

لي عليكِ أن تفكري بي

وأنتِ تُحَمِّمِين أطفالكِ الصغار

وتلفينهم في بشاكير الأرجوان

وتتهيئين لزيارات الأعياد

*** ***

لي عليكِ أن تفكري بي

وأنتِ في مجالس السمر

حين ترتفع أبخرة الشاي

إلى الوجوه الساهرة

ويختلط حفيف المأكولات المسلّية

بالضحكات النابعة من القلب

*** ***

لي عليكِ أن تفكري بي

عندما يصير ظل كل شيء مثله

ثم يتحول إلى مثليه

ثم يضمحل

ثم تشرق الشمس

بذلك فقط ، تخرج الحياة من ظلمتها

وتضيء أبداننا كالياقوت

بذلك فقط ، تتساوى كِفتا الميزان

ويخرج الطير من القفص

*** ***

أيتها المضطجعةُ ،

كتمثال راقد على سفوح الفراعنة ،

ورمال منف

أنا الذي يحس بما يدور في فلكك

يا جميلة

*** ***

إنني مبلل إلى آخري

بالسهر والدموع

أبحث عن بقعة شمسٍ ،

كابتسامتك الدافئة

أتطلع إلى وسادةٍ ،

تمنحني الاسترخاء والأمان العميق ،

كفخذك الوثير

حتى يكون الأفق كله ملكي

ويطلع القمر

*** ***

الزمن الجميل آتٍ ،

فكيف لي أن أقبض على اللحظةِ ،

فلا تمر

وعلى السحابة فلا تفر

ويسقط المطر

كيف لي أن أنظر إلى صورتك

فتنبض على الحائط بالحياة

وتخرج من إطارها ،

إلى الوديان المنبسطة

والسهول الناعسة

وما مآل المشاهد التي تبخرت

وترسبت آثارها كالقهوة

في فناجين القلب

أنا طفلك الكبير ولن أهون عليكِ

فلا تفطميني بعد الآن

*** ***

وإذا أعوزني حبك

سأنفر من بيتي في منتصف الليل

مستنجداً بالمارة والمسافرين

أقول لهم :

كانت هنا حبيبتي

*** ***

سأتسكع في الميادين كالغريب

وأضيع في الشوارع كالمتشردين

والأيتام

سأرصد الدنيا كالمتعجب من دورانها

وأضرب رأسي بعنفٍ في حجر الأهرامات

مستبيحاً دم الكهانةِ ،

وأمراء الحب ،

وسلاطين الهوى

باكياً على الأيام التي مضت

والأيام التي سوف تجيء

*** ***

وعند الفاترينات

والواجهات الزجاجية

سأقف طويلاً أمام الملابس النسائية

باحثاً فيها عن ألوانك المتناغمة

كقوس قزح

وأمام بائعة الورود

سأساومها على الزهرة التي تحبينها

وأفرغ لها كل ما في جيبي

لأعود مفلساً من العرباتِ ،

والقطارات الكهربائية ،

والمركبات

عائداً تحت الأشجار السامقة

متوجاً بالحزن والسعادة

منهوكاً ،

بين عشرات الوجوه الخاوية

الفارغة من الشعر ، والثورة ،

والجمال

المتخمة بالجشع ، والبلادة ،

والعبودية

واضعاً يدي في جيبي

وفي يدي الأخرى ،

حاملاً الزهرة التي تحبينها

لألقيها عليكِ

عند نقطة التقاء السماوات والأرض

وأنا واقف على ناصية التاريخ

ملبَّداً بالحب والكبرياء

داخلاً في تقاطيعك الأبنوسية

لأبدأَ معكِ من جديد

من تحت نقطة الصفر